

11
مغامرات عجيبة جدا
جوهرة
المعبد الملعون
علاء الدين طعيمة
دار الدعوة



- سلسلة مليئة بالإثارة والتشويق
- أغرب الرحلات والمفارقات
- تجمع بين المتعة والمعرفة
- لاغنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلات

جوهــرة
المعبد الملعون

مشهد عجيب.. غلام ينزلق فوق أعواد القش الجاف وهو ممسك بإحدى يديه ذيل ثور ينطلق كالمجنون.. وبيده الأخرى إناء النفط، الذى أفرغه على الأرض على شكل دائرة، ثم وصل إلى مكان بعيد فترك ذيل الثور فسقط مكانه فى انتظار جيش البقر، وإذا بالجيش يدخل الدائرة، فأشعل مؤمن النار!

دار الدعوة
٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية
تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ – ٣٩٠٧٩٩٨ / ٠٣

سلسلة

مغامرات عجيبة جداً ..

11

جوهرة

المعبد الملعون

الطبعة الثالثة
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع القانونى
٩٨/١٤٩٣٣

الترقيم الدولى : 5-192-253-977

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى : ٢ ش منشا - محرم بك - الاسكندرية
☎ ٤٩٠١٩١٤ - ٤٩٠٧٩٩٨ - فاكس ٥٩٥١٦٩٥

جوهرة

المعبد الملعون

تاليف / علاء الدين طعيمة

رسوم / يسري حسن

الإشراف العام / أحمد خالد شكري



بسم الله الرحمن الرحيم

بعد فترة من الزمن قرر مؤمن بعد أنْ وفَّقَهُ الله ـ عزَّ وجل ـ في العثور على الجوهرة العاشرة أن يبحث من جديد عن جوهرة أخرى .. ولكنه الآن بالفعل قد التْحَم وخيوط البحث في شبكةٍ يَبْدُو أللانهاية لها .

السفينة تقترب رويداً رويداً من بلاد البساطة، وأيضاً بلاد الأعاجيب والسحر، وغرائب الدنيا .

الريح تحمل رائحة طقوس دينية لا حصر لها ، مخلوطة بأريج ورق الشاي والتوابل ، البصر يخترق سلاسل الجبال الشاهقة، ليمتزج بألوان زاهية تميِّزُ كلَّ شئ وتختلط في بانوراما طبيعية مع الناس والزرع والورد والأبخرة والسماء.

تَعلَّم مؤمن هذه المرة أن يسأل ويعرف ماهية المكان الذي سيدير فيه رحى البحث والمغامرة، كما استعان بأحد الأشخاص فعلمه بعضاً من لغات هذه البلاد الغريبة .

ومن بين الأجولة والصناديق التي كان يعج بها سطح

السفينة، كان مؤمن ينْسل في هدوء حتى وطئت قدماه أرض شبه جزيرة الهند .

وضاع صوته بالسؤال بين صياحات التجار والحمالين وهم في صَخب شديد أثناء تفريغ حمولة السفينة التي استقلها من بلاد اليمن ، لما علم أنها تنوي الإبحار نحو الهند في تجارة .

وكان القرار هو التوغُّل في البلدة بعيداً عن الميناء للاستكشاف الفردي، والبحث عن مَعْبدِ الشمس الهندي، هذه هي العبارة التي كانت مكتوبة على التاج .. لا يعرف غيرها، كما لم يعرف أي شخص حتى ذلك الحين معنى هذه العبارة .

شيءٌ ما داخله ينهاه عن السؤال عن معبد الشمس .. شيء ما يدفعه لعدم البوح به .. اعتقد أن كلمة «الشمس» سوف تسيء للناس .. أيُعقل أن تُعبد الشمس ؟!.. أحس أيضاً أنَّ هذه الكلمة قد تجلب له المتاعب.. فهل كان مُحقاً فيما اعْتقد ؟

القرية بسيطة للغاية في كل شئ، في أكواخها الخشبية المتواضعة، حتى الناس يمتازون بالدقة والنحافة .. لون بشرتهم يذكره بأهل الجنوب المصري .

يسير في شوارع القرية وينظرون إليه نظرات تعجب ودهشة، بل إنهم ضحكوا من ملابسه العربية ولكن كل هذا لم يؤثر في الغلام المسلم «مؤمن» .

أدرك أنَّ النجاة من نظراتهم والهداية إلى الصواب ستكون في هذا البناء الذي لا يتغير في أي مكان في الدنيا، ولا يختلف قاطنوه أبداً لأنهم يعبدون الواحد القهار .. ومبدأهم التوحيد .

أخذ مؤمن يبحث عن المسجد فهناك من قال له إنَّ هذه البلاد قد شَرُفَت يوماً ما بَدُخُول الإسْلام .

النظر يمسح بشغف الأماكن والأزقَّة، يتقافز فوق العربات الخشبية التي تجرها الثيران والحَمير، يغلِّفُ مجموعة من الأطفال وهم يلعبون بأشياء أحسَّ أنها تشبه

لعب الأطفال، البصرُ يقتحم أكوام القَشّ وينزلق فوق الأسطُح .. يَعد بسرعة أقراص الوقود المصنوعة من روث البهائم ، ينساب بين المنتجات ، يتطلع مشرئباً إلى مئذنة مسجد تشمخ في السماء .

بعض الأبنية يتشابه فيها البناء .. تُرَى هل هي معابد بوذية؟ هندوسية ؟ مساجد ؟؟!! مازال متهيّباً الموْقف والناس.. إنهم يستغربون وجوده، أما هو فيريد المسجد والمسلمين .

مرة ثانية وجد نفسه أمام الحقول الشاسعة المترامية .. هنا .. حدود القرية .. وطريق ضيق مدكوك بالحصى في الطين يخترق الحقول نحو جبال يلفها الضباب .

حار.. أيعود للغوص في دروب القرية أم يستسلم للمدق مخترقاً الحقول إلى المجهول ؟

سمع فجأة أصوات ضجيج وصياحات مرحة يتبعها صوت طَبْلٍ يأتي من بعيد ، ونظر خلفه فوجد أهل القرية

يتدافعون من الشوارع والأزقة نحو ميدانٍ فسيح يتوسَّطُها؟ فلم يشعر بنفسه، رغبة دفينة قادته نحو الجُمُوع، وتعجَّب أن أحداً منهم لم يُعِره بالاً، فالاهْتمام كله مأخوذ بهذا الرجل الذي توسط حلقة الناس وأخذ زملاؤه يدقُّون الطبول بشِدَّة، أما الرجُلُ فكان له شأنٌ عجيب .

نام الرجل على شِقَّهُ الأيمن ، وتوسَّد حجراً من الطوب الطيني الصلب « وضعه تحت رأسه » ، ثم ناوله أحدهم ثلاثة أحجار أخرى فوضعها فوق رأسه ، أي على الجانب الأيسر من رأسه ، وقام آخر يحمل مطرقة حديدية هائلة فرفعها في الهواء وسط صيحات الدهشة من الناس ، ولما أصبحت المطرقة في أعلى نقطة لها انحبست الأصوات تماماً، حتى الذباب أيضاً سكت عن طنينه المُزْعج .

الرجل الواقف بمنتهى القسوة والقوة يهوي بالمطرقة فوق الأحجار الثلاثة التي تعلو رأس الرجل المستلقي ، تتحطم الأحجار وتتفتت ، ويظن مؤمن أن رأس الرجل قد تهشَّمت،

ولكنه فاجئ الجميع عندما قفز واقفاً رافعاً زراعيه ويبتسم دون أن يُلمَح عليه أثر يُذْكَر .

ووسط التصفيق وصياحات الدهشة سار الناس خلف الفرقة .. الكل يتوقَّع مزيداً من الألعاب الغريبة، ولم يجد مؤمن بُداً من السير وسط الجُموع .. حتى إذا دخلوا جميعاً في شارع جانبي، لمح بناءاً متواضعاً بدا من داخله عندما نظر إليه أنه مسجد، ولكنَّه على ما يبدوخالٍ من المصلِّين.. توقف مؤمن أمامه، وترك الجَمْع يتبَعُ الفرقة البهلوانية، ولما هَّم بخَلْع الحذاء تمهيداً لدخوله المسجد ... سمع صرخة من رجل هَرِم يقبع فوق أخشاب كوخٍ خشبيٍّ عتيق .. وقبل أن يفيق من دهشته .. فاجأَهُ الرجل عندما قذفه في وجهه بقرص من روث البهائم، وهو يزيد في صياحاته المُزعجة .

وعاد الناسُ بسرعة يجرون نحو مؤمن المسكين الذي يمسك بفَرْدَة حذائه، ولم يفهم لماذا كان الغضب بادياً عليهم .. وبسرعة تحلَّقُوا حوله وهم يُصدرون أصواتاً غريبة

غاضبة.. ويندون بقبضات أيديهم، ولما قرر أن يَدْخُل المسجد وانحنى ليخلع فردة الحذاء الثانية .. انهالت عليه الضَربَاتُ واللكمات، وأخذوا جميعاً يكيلون له الركلات.. وكاد أن يغيب عن الوعي وهو يصرخ ويصرخ.. ولكنَّ عناية الله أرسلت من داخل المسجد رجلاً، ما إن خرج من الباب حتى ساد صمتٌ غريبٌ، وتوقف الناس عن ضربهم، ولاحظ مؤمن أنَّهُم يخشون الرجل ولٰكنهم يكرهونه في ذات الوقت، ورويداً رويداً أخذوا ينصرفون ، ولم يخلُ الأمر من عبارات شتائم وُجِّهَت للرجل.. بل إنَّ أحدهم من شدة غضبه عندما ابتعد .. أخذ يقذف الرجل بالحجر وفعل مثله آخَرُون .

وانحنى الرجل بسرعة على مؤمن الذي كادت عظامه أن تتصدع من شدة الضَرْب، وبرغم الشتائم ووابل الحجارة، أسْرع بإدْخاله إلى المسجد ثُم أغلق الباب، وحمله بسرعة إلى حجرة صغيرة ملحقة بالمسجد ثم أخذ يضمِّد جراحه



ومؤمن ينظر إليه بامتنان شديد .. وإن لم تكن عيناه لم تفارقهما تساؤلات عديدة ملحّة .. ماذا يحدث ؟ ولماذا حدث ؟

نام مؤمن نوماً عميقاً بعد ذلك من شدّة الجهد والإرهاق، ولكن الرجل الطيِّب قطع عليه هذه اللذة، وهو يقدم له طبقاً به ثمرات الموز والتفّاح، ولأول مرة يتحدث مؤمن ويقدر لسانه على الحركة :

– شكراً لك يا سيدي .. لقد تحملت كثيراً من الإهانات من أجلي .. هؤلاء الناس .. آه لا أدري .. لماذا فعلوا ذلك؟! لقد كنت أسير معهم ولم يعيروني انْتباهاً .. وبمجرد محاولتي دخول المسجد ثارت ثائرتهم، وهاجموا وكأنهم قابلوا عدواً لدوداً .

ابتسم الرجل إبتسامة مليئة بالأسى والحزن ثم قال :

– اشكُر الله يا ولدي .. واعلم أن هؤلاء القوم يعدونك الآن فصاعداً عدواً لهم .. كما يَعُدُّونني أنا عدواً قديماً لهم .

كان مؤمن يلْتَهِمُ الثمرات جَوْعَاً ، ولكنه توقف عن المضْغِ ، ونظر للرجل الذي بدت على وجهه أَمَارات الهمِّ والحزُنِ - رغم صغر سنه - وقال له :

- سيدي .. أنا في حيرة من أَمْري .. لماذا لم تسألني؟. لماذا لم تحاول أن تتعرف على أحوالي وبلادي ؟

ابتسم الرجل ابتسامة مريضة ثم قال :

- يا ولدي أنت من بلاد النهر العظيم الذي قال عنه ربنا «عز وجل» أنه نهرٌ من أنهار الجنة .. وأنت هنا من أجل ما تُسميه جوهرة التاج.. أليس كذلك؟.. لا تتعجب..

- لقد كنت تهذي أثناء النوم .. وتكلمت عن أشياء كثيرة لم أفْهَم معظمها..

ضحك مؤمن وأكَلَ الطعام ، ودار بينه وبين الرجل حديث طويل .. وعلم أن الرجل الطيب (رَاْم) هو المُسلم الوحيد في هذه البَلْدة لذا فكل أهلها أعداء له .

وبعد أن صلَّى الرجل الطيِّب لأول مرة منذ سنوات صلاة

العشاء في جماعة مع مؤمن ، قال له :

- ولدي.. الآن سأدعُك تنال نوماً وفيراً حتى الصباح، أما أنا فسأعود إلى بيتي.. لا شك أن زوجتي وابني الصغير في قلقٍ لأنني لم أرْجع إليهما بعد الظُهر كما عوّدتهما.. لاتبرح المسْجد بأي حال.. وفي الفَجْر ستجِدُني جانبُك لنصلي ثم نبحث سوياً أمر جوهرتك التي حدثتني عنها.

خرج (رَامْ) إلى بيتِه وبقى مؤمن وحيداً في المسجد وملأ قَلْبه الخشوع لله فأخذ يترنم ويرطّب لسانه بالتسبيح وهو قابع في المحراب .. وأحس بالنوم يتسلل إلى جفنيه يثقلهما ، فتمدَّد في مكانه، ولما وضع كفه تحت خده توسدها إذ بطَرْقٍ شديد على باب المسجد، فانتفض مذعوراً وجرى يسأل :

مَنْ ؟ .... مَنْ بالباب ؟!!!

كان الصوت لـ (رام) .. إنَّه يبكي ... فتح مؤمن الباب، ليجد (رام) الطيب يرتمي بين ذراعيه يكاد أن ينهار..

- سـيـدي (رام) ... مـاذا بك؟... أهناك مكروه؟...

سيدي ... لاحول ولاقوة إلا بالله ...

سحَبَه مؤمن إلى الداخل، ودفع الباب فانغلق وارتمى (رام) إلى الأرض يبكي بكاءاً مريراً ومؤمن لا يدري ما الخَطْب .. جرى مسرعاً وأحضر له إناء الماء ، ولكن (رام) كان في حالة يُرثى لها !! .

- آه ... آه ... زوجتي... ولدي مصطفى ... ولدي مصطفى ... ولدي .

- ماذا جرى لهما يا سيدي بالله عليك ؟...

- زوجتي الحبيبة ... قتلوها يا مؤمن ... وخطفوا ولدي مصطفى ... حسبي الله ونعم الوكيل.. ماذا أفعل وإلى مَنْ أذهب ؟!

كان (رام) يخبط بكِلْتا قبضتيه على الأرض ، ونظر مؤمن إلى كُوَّةٍ في سقف المسجد نحو السماء ، ارتعشت النجوم فيها وتناثرت، ثم ساح الوهج في دموع اغرورْقت

بهـا عَيـناه وأحس لأول مرة فى حيـاته كـيف يكون الظلم مُراً،وانحنى علىِ صديقه وأمسك رأسهَ بينٍ كتفيه واحتضنه فامتزجت دمُوعُهما وقال«رام»يهذى فى حمًى مصيبته:

- الأوغاد الكفرة ... عبدة الخنازير والبقر .. قتلوا زوجتي الحبيبة قتلة شْنيعة .. لقد قطعوا رأسها عن جسدها وأخفوه عنّي .. إمْعاناً في تعذيبي .. آه .. آه .. وولدي الوحيد .. أخذوه .. أين أنت يا فلذة كبدي؟... أين أنت يا مصطفى ؟ أين أنت يا حبيبي ؟.. يا رب !!

مرت ساعة عصيبة لا يعلم قسوتها إلا الله، ومؤْمن جالس ويداه تحمل رأسه الثقيل وينظر لرام الذي أنهكه البكاء والحزن جثة هامدة في جوف المحراب، منحنياً إلى الأرض .. قال مؤمن في نفسه ، « لماذا يحاربونك يا رام؟... رجل وحيد .. ضعيف .. لا قوة لك .. ماذا فعلت لهم حتى يحرموك من زوجتك للأبد ويمزقوا كبدك على ولدك الوحيد ؟...

فردَّ عليه رام في أسىً وحزن دفين :

- لأني مسلم .. أقول ربي الله الذي لا إله إلا هو .. !!

- أهذه تُهمتَك .. لا تيأس فالله مع الحق دائماً ! وأنا لن أدعك حتى أنتقم لك ونُعيد ولدك (مصطفى) .

لم تكن الجنازة إلا مؤمن ورام .. حملا جثة الزوجة بغير رأس بعد أن كفَّنوها ثم دفنوها، وفقد رام الإحساس بما حوله.. وعادوا إلى المسجد، وحاول مؤمن أن يثنيه عن عزوفه الشديد عن الطعام ونجح بعد يوم كامل أن يجعله يفكر تفكيراً منطقياً وقال له :

- قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ ... الصبر يا سيدي عند المصيبة من شيمة المؤمنين !!

ردَّ رام في خشوع وطُمأنينة :

- ونعم بالله يا ولدي...ولكن قَلْبي يأكلُني على ولدي

مصطفى.. لاأستطيع الحياة هكذا.. لابد أن أعثر عليه..

كن بجانبي يا مؤمن.. لا تتركني وحدي...أريد العَوْن.

قال مؤمن بإصرارٍ وعَزم :

- ماذا تطلب مني يا رام؟... أنا لن أتركك... فوالله لقد أحببتك في الله.. لا أدري كيف أصف لك حزني.. إن المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً .. نحن كالجسد الواحد .. إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى..

وقبل أن يتم مؤمن كلماته سَمِعا طرقات على الباب تبعها صمت طويل .. فأشار رام إلى مؤمن أن يفتح الباب.. ولما قام وفتح لم يجد أحداً والْتَقط من تحت الباب رسالة ورقيَّة .

- ماذا بها يا ولدي ؟

- « المدعو رام الآبق ... لن نسمح لك بأن تكوٌن عشيرة من المسلمين بهذا المسجد .. لقد ذبحنا امرأتك ولدينا

طفلك إنذاراً أوَّليـاً .. إمَّا أنْ تفـهـم من ذاتك فتـترك القَرْية وترحل ومعك الـصبُّي الغريب ، وإمَّا سنرسـل لك الطفل مقطوع الرأس كإنذار ثانٍ، وإذا عـاندتنا فـلا يكون إلا أن تُشْوى أنت وضيفك في المسجد بعد أن نشعل فيه النار .. الفـرصـة أمـامك حـتى طلوع الـشـمـس .. ولا تحلم بعـودة الطفل إليك .. إنَّه ابن قـبـيلتنا وسـيكبـر على ديـننا ... سنعلمه تعاليمنا نحن .. هيَّا أَنْت والغُلام الغريب اخْرُجا من القرية » .

بعـد أن انتـهى مـؤمن من قـراءة الـرسـالة قـام رام منـتـصـبـاً والغضَبْ يملأ عينيه .

- الكَفَـرة !! .. ألهـذا الحد ؟! .. لا .. لن اتـرك المسـجـد بأي حال ..

اقترب منه مؤمن وقال مهدئاً :

- سيدي .. لقد جعل الله الأرض كلها مسجداً لنا ، ويبدو أن هؤلاء القـوم جـادون في مـزاعـمـهـم، ونـحْنُ قلة ، فـلا داعٍ

الآن لُمجازفة معلومة العاقبة .. هيا .. فأرضُ الله واسعة وسنعود يا سيدي .. سنعود بأذن الله !!.

وفي عَتْمَةِ الليل خرج رام ومؤمن من القرية بعد أن أحكما إغلاق المسجد وسارا نحو الحقول والتقما المدقّ الذي يطعن المنطقة الجبلية ويتمادى في أحشائها .

كاد مؤمن أن يتجمد من برودة الليل رغم أن الفجر أوشك على الحلول ، عَذر «رام» بعدم إحساسه بشيءٍ من حوله فطوال الطريق كان متجمِّد اللسان .. لا يتكلم .. شارداً .. إلا عندما كان مؤمن يُنَاوِشُه بالكلمات .

ولكنَّ الأَلَمْ زاد تعقيداً .. فلقد كانت حالة «رام» تزداد سوءاً .. وبَدا لمؤمنٍ أنَّ الأعْداء قد نالوا من صديقه نيلاً ، فقلب الرجل يتمزق حُزناً على زوجته .. ولولا أنَّه من المسلمين المؤمنين بقضاء الله لانْدفع إلى الانتحار .

وعندما لاح الصَبَاحُ كانت الشمس ومازالت يحجبها ضبابٌ ثقيل .. ارتاح مؤمن وصديقه الهِنْديُّ «رام» إلى جذع

شجرة وحاول مؤمن أن يُخْرج صديقه من حُزنه :

- ماذا إذن يا صديقي ؟... أنا لا أعرف أين تَذْهَبُ بنا ..

ها .. ما رأْيك في الطَقْس هذا الصباح ؟

لم يحّرك رام ساكناً ، وظل متكوُراً كمريض الطَاعُون ينتظرُ الموت ، وجَال بخاطر مؤمن أنً صديقه سيقتل نفسه كمداً وحزناً .. وبذكاء حاد حاول أن يُبْقِي شعاعاً في قلب الرجل يوقف به المَوْت البطئ :

- ترى يا رام .. ترى .. كيف حال مُصطفى الآن ؟.. لابد أنه ينتظر والده لينْقِذَه من أسْره .

وكما توقعنا فلقد لمع نور الصبح مرة ثانية في عيْنَي رام وأصبح من جديد .. يُفكر .. وقال صائحاً !!

- مؤمن .. ماذا حدث؟!.. لا أشعر بقدمي على الإطلاق .

وبعد الدهشات والحيرة والمحاولات المستميتة، أدرك مؤمن أن رام قد أُصِيب بالشلل ، ولن يقدر مرة أخرى على المشي ، وتعجًب أنه يستقبل ذلك بهدوء المسلم الصبور .

وظل ينتظر حتى لاحت من قريب في مُنْحَى الطريق عربة خشبية يجرُها ثورٌ عجوز .. فأشار لقائدها ، وفي دقائق كان القائد العجوز يدفع ثورَهُ حامِلاً مؤمن ورام فوق كوم القشِّ والتبن بصندوق عَرَبته .

وأحس مؤمن أنه يُقدِم على أُناسٍ من جديد .. تُرى هل سيحبُّونه أم سيفعلون به كما فُعِلَ به في قرية (رام) ؟

الفلأحات الهنديات تَحْملن جِرَاراً فُخارية على رؤُوسِهن .. وبعضهن تحملن جرتين ثقيلتين فوق بعضهما .. الوجوه الحنطية مبتسمة دائماً ، وقطيعٌ كبير من الأغنام يقوده بعض الرعاة في ملابسهم البيضاء الفضفاضة، التي تكشف عن أجسام نحيلة ضعيفة .. بَهَرتْهُ الألوان في كل مكان .. تناسق عشوائي من ألوان الزروع والملابس والعمامات ، أي شئ لدى الهندي لابد أن يكون ملوناً زاهياً .. أحمر .. أخضر .. أصفر .. أزرق ..

كان يَوَدُّ لو أنَّه في رُحلة نزهة يستمتع بما يرى .. لولا أنه

يحمل عذاباً وحُزناً على صديقه رام، أخرج رام من جيبه عملات معدنية، ودفعها لحوذى العربة (سائق العربة)، وطلب منه أن يسير في اتجاه معيّنٍ فأطاعه الرجل .

- إلى أين سنذهب يا رام الآن ؟!

- إلى معبد الشمس ...

- يا إلهي .. ولكن .. أظن أنه مكان لعبادة الشمس فكيف نلجأ إليه ؟

- ولدي .. نحن ننتظر جيوش المسلمين أن تغزو هذه البلاد العابثة .. لم يفتح الهند حتى الآن فاتح إسلامي .. انظر يا ولدي أنا وأنت ضمن نفرٍ قليل من المسلمين في البلاد .. أما (جوهار) فهو صديق قديم حميم وسيفيدنا كثيراً .. أتمنى لو أنه يعبد الله يا ولدي ويوحّدُهُ وأن يتم ذلك على أيدينا .. المهم الآن أن نعثر عليه حياً .. فأنا لم أره منذُ سنواتٍ عديدة .

ومن بين التلال والأشجار لاح مَعْبَدُ الشَمْس .. مبنيٌّ م

طوب ورْدي عجيب الشَكل تعلُوه قباب كثيرة تتراص في منظومة رائعة التنسيق ، وله باب خشبي ضخم أعلاه رُسِمَت الشمس الحمراء وأشعتها تملأ الجِدَار والباب .

اقتربت العربة حتى دَنَت من الباب ، فقام الحُوذيُّ مع مؤمن بحَمْل (رام) حتى أجلساه بجانب الباب ، وأخذ الحُوذيُّ عَربَتَه وغادر ، وأخذ مؤمن يقرع الباب بالحلقة الحديدية الكبيرة التي كانت مثبَّتة على الباب من أحد أطرافها وغاب المُجيب فترة فظن اللاجئان أن لا مجِيب .. ولكن مؤمن سمع صوت احتكاك أقدام ثقيلة يأتي من داخل المعبد ، فأشار لرام مبتسماً ، وبعد برهة سمعا أصوات المزاليج الحديدية الصَدِئة وهي تُعْلِن فَتْح المعبد .

وفَتْحُ الباب له صَرِيرٌ مُزعج ، ونظر مؤمن فإذا برجل هَرِم منحني للأمام ويرتدي حُلَّة مهترئَة وبيده الأخرى عَصاً رفيعة ، ولا شَعْر في رأسه وله عَيْنان ضَيِّقتان ، ولِحْية رفيعة تتدلى حتى صَدْرِه .



تعجَّب مؤمن من منظره وتعجب الرجل منه ولكنه نظر ناحية (رام) الذي صاح به صيحة صديق قديم .

- والدي .. الحكيم العَالِم جُوهار!! هل فقدت الإبْصَار يا رجل؟ ..

اقترب الرجل منه بخطوات منحنية ثم إذا اقترب منه صاح:

- رام .. رام .. صديقي الحبيب .. رام .. كدّتُ أن أموتَ قبْل أن أراك .. ماذا بك يا رام ؟

وفي جهد شديد استطاع مؤمن بمساعدة الحكيم (جُوهار) في حمل صديقهما (رام) إلى داخل المعبد ورغم ذلك فإن عيني مؤمن الاسْتِكْشَافية أخذت تلتقط صوراً جديدة على خياله من عِمارة المَعْبد العتيق، لقد مرُّوا بردْهَة طويلة مبنيَّة من الأحْجار، وانْعَطَفُوا يميناً إلى ساحة مربَّعة تتوسطها تحفة فنية رائعة، حيَّتَانِ من نوع الكوبرا تحملان قرص الشمس، وقد صُنِع الشكل من الرُخَام وطُعِّمَت

الشَمس بياقوت أحْمَر متراصٍ في منظومة هنْدسيَة بارعة، بعد ذلك صعدُوا ثلاث درجات من سُلَّم عَريض فبدا لمؤمن ميدان دائري فسيح هو قَلْبُ المعبد .. وُضِعت فيه أشكالَ غريبةً من الأشَجار يبدو أنَّها صُممَت لغرض معيَّن لم يَعْرِف ما هو على وجه التحديد.. فهناك أخشاب مربوطة بالحبال، وهناك براميل خشبية موضوعة فوق منصة مزودة بمنحدر خشبي وهناك أحجارٌ وهراوات ثقيلة وكُتَل جلدية محشوة معلقة تتدلى ..

رأى كل هذا وشُغِفَ بمَعْرِفَة هذه الأشياء، ولولا حرج الموقف لسأل في الحال ولكنَّه آثر أن يؤَجِّل ذلك إلى ما بعد الاطْمِئْنان على صديقه رام .. وبعدما ساروا في الطُرقة الدائرية التي تحدد المباني المحيطة بالميدان صعدوا درجات ثلاث أخرى، ثم دخلوا باباً وساروا في رَدْهة رُخامية نظيفة وكان على حوائطها مناظر رسمها فنان بارع، ولاح الضوء يخرج من باب حجرة في نهاية الممر، أحس مؤمن أنها

مسْكَنُ الحكيم .. وقد كانت غرفة غاية في البساطة والنظافة والاتْساع ليس بها سوى أرائك قطنية، ووسادات على أرضيَّة خشبيَّة، وعلى أحد الجُدران ثُبِّتَت مكتبة كبيرة مليئة بكنوز العِلْم والأدب، ومُلْحق بالغرفة دورة للمياهِ ورُكن صغير به صوان يبدو أنه رُكن المأكولات ...

دَارَ حديثٌ طويلٌ ورام مستلقٍ ومغطى بغطاء صوفيٍّ ثقيلٍ، ومن بين الأصابع كان بخارُ الشاي الساخن يتصاعد برفْق .. وكان الحكيم ينظر لمؤمن بارْتياب في بادئ الأمر، إلا أنَّه بعدما استمع لحديث رام اطمأنَّ له وتوطدت بينهما صداقة .. ولولا كآبَةُ الموقف والحزن الذي خيَّم في الأرجاء لكانت أُمْسية جميلة .

- وأين ولدك الآن يا رام ؟

- لَدَيْهم ياصديقي الطيِّب .. ألم تقرأ رسالتهم؟ .. كان أهوَنُ عليَّ أنْ يَقْتلوه ولا يدفعونه للكفر بدين الله ..

- لقد حذرتك كثيراً يا رام وقلت لك إنَّ دينَك لا وجود له

في بلادنا .. ولكنك كنت عنيدا .

- لا داعٍ للخوض في هذه المسألة الآن يا جُوهار .. أنا لجأت إليك لحكمتك وعلمك بالتعامل معهم ؟ فأشر علينا ؟..

- كل ما يحرق قلبي يا رام .. إنهم كفرة.. يعبدون البقر .. وكم تمنيت في شبابي أن أذبح بقرهم كله ، أو أذبحهم بدلاً منه .. ولكن .. ولكن ..

- ولكنهم يا جوهار قد ذبحوا زوجتي.. آه يارب.. يا رب..

لم يشأ مؤمن أن يتدخل في حديثِ الصديقين، ولكنَّه عند تلك اللحظة وضع كوب الشاي ثم قال :

- سيدي الحكيم جُوهار ... إن هذا الرجل الذي لجأ إليك وهو يعاني من الظلم... فهل ستعمل معه ومعي على رفع الظلم عنه وإعادة ولده مصطفى؟ قبل أن يسمموا عقيدته الفطرية .

أخذ الحكيم جُوهار يَعْبث في لحيته وينظر إلى شُرفة الحجرة، ويمتد بصَرُه بعينيه الضيقتين إلى الغابة والبُحيرة،

ثم يعود فينظر لرامٍ ومؤمن، وهما ينتظران منه رداً شافياً بتلهُّفٍ، ولكنْ بَدَت على وجهه أماراتُ الحيرة، وهزَّ رأسه آسفاً ثم قال :

- مُشكلة مخيِّبة للأمل .. واحدٌ مَشْلول والآخر غلامٌ صغير !! وأنا شيخٌ يداي لا تقوى على حَمْل كوب الشاي المملوءِ فترة طويلة.. وليس لي أتْباع يَنْصُرونني.. فكل من كانوا بالمَعْبد فرُّوا من عُبَّاد البَقر وتركوني في منفاي الاخْتِياري.. ماذا أصنَع؟.. أنا لا أملِكُ غير العلم والنَّصيحة .. أحضروا إليَّ الرجال وأنا قادرٌ على تَدْرِيبهم في مَيْدَان القِتَال، فأنا خَبِيرٌ بتدريبِ المُقاتلين.. لكن إذا كنتما تريدان أن أضيِّفكُما هنا وتخْتَبئان لمدة عام كامل فلا مانع عندي بشرط أنْ تخدما نفسَيْكُما .

كان النُّور السماوي يتملَّص من الحُجرة، والظلام يسقط على الأشياء ليزيد السواد وساد الصمت والمغرب يقترب.. وقطع رامٍ حَبْلَ الصَمْت آمراً مؤمن أن يأته بإناء الماء حتى يتوضأ لصلاة المغرب .

وبعد الصلاة كان الصمْت وبعد العِشاءُ كان النوم.. ونام مؤمن من شدة التَعَبِ وعلا شخِير الحكيم جوهار ولم ينم لرام جفن.. وكيف ينام وكل هذه الهموم تصارعه.. لقد صمتت الأشياء كلها حُزناً على رام، حتى الريح سكنت ولم تعد تعبث بالأشْياء أو تلهُو بورق الشجر .. وهمست المخْلُوقات المتوحشة في الغابَة لبعضها وتسمعت لترانيم الحزن التي بثّها قلبُ المطعون رام وهو يبكي.. نعم.. لقد كان رام يحب زوجته حباً شديداً .. كان شديد الولع بها .. كان يخشى أن تموت قبله حتى لا يتعذب بفراقها .. حتى ولدهما الوحيد .. الولد الذي كان الذكرى الوحيدة للفقيدة .. راح .. ولا قوة إلا بالله .. ضاع كل شئ، هاهو رام يبكي.. دموعه أصبحت تكوي وجهه وتصنع أخدوداً عميقاً على وجنتيه إنه يحترق.. يحترق.. يحترق .

كان مؤمن يحلم بوالدته وهي تبكي ويسألْها عن سبب بكائها .. ويبدو أنّ صوت هنهنات صديقه قد أثّرت في

سـمـعـه وهو نـائم، فـحلم بـوالدته وهي تبـكي، ولكنه تـنبـه للحظة وفتح جفنيه ورام يهزه هزات مترددة .

كان مؤمن بالنسبة لرام الأمل الضعيف .. نظر مؤمن له ودموعـه على صفحة وجـهه تلمع بضوء القمـر وكان يمد يده بتـراخ المظلوم المقـهور .. ولما شـاهد مؤمن قد استـيقظ، عـلا نحيبه وزاد بكاؤه، فـحبـا إليه مؤمن واحتضنه وظلاً يـبـكيان وقتـاً طويلاً، فـانْتَفَضـت الريح وكادت أن تُطِيح بالَمعْبد من قوَّتها وعصفت بالأبواب والنوافذ وكانت ثائرة .. تريد أن تذكر مؤمن بمغامراته العجيبة التي لم يكن فيها أبداً يقدر على شئ إلا بعـون الله وحُسْن الظنّ به والأخـذ بـأسـبـاب القـوة، كـانـت الدنيـا تثـور والبُحـيـرة تتـقلَّبُ أمـواجـهـا، والكائنات في الغابة القريبة تصرخ.. الكل يريد الانتقام!! الأشياء جميعها الآن لاتَرْضى البُكاء .. وتقول (دع البكاء للنسـاء والأطفال .. وقُمْ) وفجأة.... انْتَفض مؤمن وقام واقفاً فاندفع الهواء في سترته ، وطَيَّرَ عـمامته ولَمعَ نور

القمر في عينيه فزادهما بريقاً ، وأحس رام أن الغلام المؤمن أصبح مارداً ، وقال مؤمن في لهجة عنيفة :

- اعلم يا صديقي رام... أننا جميعاً بعون الله سننتقم!! وسنرد ولدك بأي ثمن.. بأي ثمن.. بأي ثمن.. أنت لا تعرفُني .. إنني مؤمن يا رام .. مؤمن .. الذي رأى الأهوال في مختلف البلاد والأمصار .. الذي خُضْتُ البحار وطفت مغامراً في رحلات أشد بأساً من هذه البلاد .. كل ذلك كان بعون الله وتوفيقه.. نَمْ واطمئن ياصديقي وتوكل على الله .. توكل على الله ..

تبدلت فجأة حالة رام ، وبدا أنه أُعجِبَ بصديقه المسلم، وأن الأمل تمكن قوياً من قلبه فصاح بمؤمن :

- الله أكبر ... الله أكبر ... أشعر يا ولدي بقوتك وعزيمتك تكاد ترُجُّ المعبد.. وأنا على يقين من قدرة الله على كل شئ.... الله معك ياولدي .. الله معك ..

قال رام تلك العبارات ثم جذب مؤمن إلى جانبه فأجلسه وقال له :

-والآن لابد للبطل أن يرتاح من عناءِ يومٍ عصيب .. ثم يا ولدي .. أنا لن أبكي بعد الآن وسأنام وأنت هيا .. هيا .. هيا نم .. وفي الصباح سيأتي الفَلاَحُ بإذن الله ... نم يا ولدي .. نم يا مؤمن .

هل نام مؤمن بعد أن شاهد رام قد استسلم للنوم ؟ .. هل عاد النوم لجِفْنَيه ؟ .. نعم ولكنَّه قبل أن يخلُد للنوم قرر قرارات قوية .. ودَعَتْهُ هذه الأفكار أن يَسْتيقظ مبكراً وكان رام مازال نائماً ولم يكن الحكيم جوهار في فراشه .. مما استوجب أن يخرج للبحث عنه .. أين ذهب جوهار في هذه الساعة المبكرة من الفَجْر ؟

شرب مؤمن بعض الماء وتوضأ فصلَّى الفجر ! ثم تناول إفطاره وانطلق يبحث عن جُوهار، ولم يكن له وجود في الحُجُرات المُقابلة .. وخرج إلى الميدان ورأى ذات الأشياء ، ولكن جُوهار ليس هنا ... نظر إلى النَدَى الذي يُبلل الرِمَال ولاحظ أثار قدمي جُوهار وهي تتجه نحو الجبل المجاور للبحيرة ...

كان الجوُّ بارداً والشَمْسُ لم تتمكن من افْتِراس الليل بَعْدُ ، وتعجَّب الغلامُ من قدرة الحكيم - جُوهار - على القيام في مثل هذه الساعة والخروج إلى الجبل .

ولما أتى مؤمن الجبل نظر إلى قمَّته التي يلفُّها ضبابٌ كثيف مخيف ! واستبعد أن يكون الحكيم جُوهار قد تسلَّقه ولكِنْ كانت هي الحقيقة . . . فبَعْدَما تسلَّق الجَبل لارتفاعٍ قليل سمع صوت آدميٍّ، وكُلَّما ارتفع لأعلا اتَّضْحت ترانيم وأهازيج لها لحنٌ شجيٌّ حزينٌ . . ولكِنْ إلى متى سيظل صاعداً وقمة الجبل قد اقتربت ! وجُوهار لم يَظْهر ولكْن صوته يقترب ، ونظر مؤمن تحته ورأى الدنيا من أعلى . . رأي المعبد كاملا صغيراً ، والغابة والبحيرة فقال في نفسه : سبحان الله ! سبحان مَنْ أبدع هذا الجمال ! وعاد يكمل التسلق حتى سمع صوت جُوهار يكلمه :

- ها أنت يا مؤمن . . . أيها المسلم الجريء المغامر . . . لقد انتظرتك وكنت على يقين أنك ستصعد إليَّ بعد قليل

ولكنك أتيت مبكراً ... تعال .

وتوجَّه نظر مؤمن إلى المكان الذي توجهت إليه أذنه، في قمة الجبل كهف بسيط يغُوص قليلاً في جِسْم الجبل وبداخله يقبع الحكيم جُوهار في هيكل عظمي لفك حيوانٍ مفترس .. فكأنه بهذه الأسنان المدببة يجلس وسط قرص الشمس .

- الحكيم جُوهار !!...هذا ما توقعته ! ما الذي أتى بك إلى هذه القمة المرتفعة التي يلفها الضباب ؟!!

ضحك الحكيم جوهار وأشار لمؤمن ساخراً وقال :

- ماذا بك يا ولدي ؟ .. مالك ترتعد هكذا ؟.. إن جسمك البسيط لا يحتمل البرودة في هذا الارتفاع .. أليس كذلك؟ ..

حاول مؤمن أن يبدو عادياً ولكن أطرافه كانت ترْتجف، واقترب من جُوهار الذي أخرج زجاجة صغيرة، ونزع غطاءها ومدَّ يده لمؤمن :



- خذ يا ولدي ... جُرعة واحدة وستشعر بحرارة إنه مشروب خُلاصة الشمس .

نظر مؤمن للزجاجة بارْتِياب، ولكنَّ جوهار لاحقه قائلاً:

- ها .. أتظنها مُسْكِرات ؟. لا .. لا يا صديقي .. إنها ليست خَمْراً.. هذه ستدفعك للنشاط والقوة .. إنها خُلاصة الشمس .. أتعرف معنى خلاصة الشمس ؟ هز مؤمن رأسه حائزاً وقال :

- كيف يا سيدي؟... كيف بالله عليك تستخلص مشروباً من الشمس ؟

ضحك الحكيم جوهار وقال له :

- ألا تعرف أن الشمس هي أساس كل الحياة على وجه الأرض وأن الموت المحقق عندما تغيب هذه الشمس وتختفي تماماً ... نعم يا ولدي .. إن الزرع يستمد الحياة من نورها ونحن إذا أكلناه نستمد الطاقة التي هي في الأساس من الشمس.. جرِّب وسترى النتيجة في الحال !!

نظر مؤمن للزجاجة ثم مد يده وبعدها مد شفتيه وتناول

جرعة شعر بعدها بطاقة تغزو عضلاته، وتحوَّل البَرْد الذي كان يشعر به إلى دِفءٍ شديد فوقف يافعاً والحكيم جوهار ينظر إليه ويضحك :

- ها .. ها .. ها .. ألم أقُل لك .. أنت لا تعْرِفُ من أنا .. أبدو أمامك الآن عجوزاً خرفاً مريضاً ولكنْ أنَا الذي صَنْعتُ كبار القادة الذين يصولون ويجولون بجيوشهم في مشارق الأرض ومغاربها .

تعجب مؤمن من جوهار ومن الشراب الذي غيَّر حالته فقال له :

- لقد بدأت أفهم .. أن الأشياء التي تَمْلأُ الميدان الفسيح .. إنما هي آلات التدريب .. نعم ..

ضحك جُوهار ثم صمت فجأة وكأن الغضب قد ألمَّ به وقال بصوت رجع صداه قوياً !! :

- مَيْدَانُ القِتال .. القوة .. لا نصر إلا بالقوة .. ميدان التدريب مكان مقدس ..

وفجأة قطع كلامه، ثم نظر لمؤمن وأمسكه من يده وصاح به :

- تعال .. تعال يا مُؤمن .. أنا لا أسمح لأي إنسان مهما كان أن يطأ بقدميه هذا الميدان إلا إذا كان جديراً به.. وأنا رأيت في عينَيْك أيها المسلم الصغير بأساً شديداً .. لا أعْرِف من أين أتت هذه القوة في عينيك.. إنَّك حقاً جديرٌ بزيارة مَيْدَان القتال .. تعالى معي .

تعجَّب مؤمن من الحكيم جُوهار وهو يهرول نازلاً الجبل، وتعرف رجْلاه بل وتَحْفظ كل صخرة يجب أن يدوس عليها هابطاً فما كان عليه إلا أن يتبعه على نفس طريقته .

وفي المَيْدان كان مؤمن يشاهد جُوهار الحكيم وهو يستعرض الأجهزة التدريبية وكلما مر بجهاز أو ركن ذكر الأبطال الذين تدربوا فيه، وكيف كانوا صغاراً، كان يعرق ويلهث ويصرخ ويمثّل معاناة الأبطال، وبقدر ما تأمل مؤمن ما يفعله جُوهار، بقدر ما استَثَارَتْهُ الأجهزة واستفزَّت قوته

وميوله، فأصبح يتحرق شوقاً للتدريب .

بعد ذلك رجع جُوهار يتبعه مؤمن عندما أحسا بأنهما تأخَّرا على رام .. وقبل أن يدخلا الحجرة سمعاه يناجي زوجته وولده مناجاة تقطِّع لها قلبيهما .. ونظر كلٌّ منهما للآخر .. إلى الدَمْع الذي كان يترقرق في أعينِهما . وشَدَّ جوهار على يد مُؤْمن وقال له :

- شئٌ في عينيك لازال يعيد إليَّ ذكرى الأبطال العِظَام .. هل .. ؟

فلاحقه مؤمن وهما مايزالان خارج الحجرة يسمعان نواح رام :

- نعم .. قبل أن تعرض الأمر عليَّ .. بالأمس قررت .. وأطلب منك أن تبذل أعظم جهد في مساعدة صديقك رام .. أريد أن أتدرب وأتدرب لأصبح بطلاً ..

تبدَّل الدمع في عينَيْ جُوهار إلى حماس يبتسم .. لقد كانت فرحته عظيمة عندما يُمارس من جديد مهنته الحبيبة

ويقوم بتدريب هذا الغلام المسلم ليصبح محارباً لا مثيل له على وجـه الأرض .. سـيـصـبـح مـؤمن بطلاً أسطورياً لا يستطيع أي جندي أن يقهره أبداً .

ثم تحدث جوهار موجّهاً الكلام لمؤمن :

- ولكنْ عليَّ دورٌ وعليك أنت دورٌ آخر !

فردَّ مؤمن في متسائلاً :

- وما دوري ؟

- أن تصبر وتكون لك قدرة على التحمل !!

ثم كـان ثلاثتهم يتعانقون في قبضة واحدة .. وكان لسانُ مؤمن يقول : « لو أن جُوهار هذا كان مسلماً موحداً بالله .. لأفاد المسلمين في هذه الأرض كثيراً » .

وفي اليوم التالي كان المَشْهد يَسْتحقُّ التسجيل .. رام يجلس على مقعد خشبي بيده زجاجة ماء، وجُوهار يعتلي مقعداً عالياً في وسط الميدان، ومؤمن يلهث وهو يؤدي تدريبات جُوهار الشاقة، ها هو تدريب قوة التحمُّل، مُؤمن

ينام شبه عارٍ على رمل ساخن وكلّما تأذّى من درجة الحرارة وأراد القيام سكب عليه جُوهار دَلْواً به الماء الساخن بواسطة حبل يمسكه بيده فيُلصقه بالأرض، وها هو تدريب الشَّجاعة، عندما كان مؤمن يقتحم حَقْلاً مزرُوعاً بالنّيران المُلتهبة .. كان يجري بأشدّ سُرعة ويصرخ من لسعات اللهب ، ثم كان عليه أن يواجه أربعةً مِنَ النُّسور الجارحة التي كان جُوهار يحتفظ بها في مخزن الميدان، كان أعزلاً والنسور تنقَضُّ على كل مكانٍ في جسده العاري تريد أن تقضمه بمنْقَارها الحاد، وكان عليه أن يضرب ويضرب بكل قوةٍ وسُرعة ، ولم يَسْلَم من الجرُوح الخطيرة رغم أنَّه كان عليه اجتياز التَّدْريب لنهايته، بأن يَصْرَع النُّسُور بضرباتِ يديه القَويَّة، وكانت النُّسُور قد تدرَّبت على التسليم والفرار إلى المخزن إذا كان المصارع بطلاً قوياً يستحقُّ النَّصر.

وفي المساء كان وقْتُ الرَّاحة، «رام» عادت إليه بشائرُ الأمل وتحسَّنت حالته، كان يُصلي ويدعو الله أن يبارك مؤمن

وجُوهار، أما مؤمن فينام على الفرشة البَسيطة كقطعة بالية من الخرق ، وجوهار يُضَمِّد جِراحه وحروقه، ويُسقيه شراباً مرّ الطَّعم ويضحك وهو يقول :

- انظر يا رام إلى صديقك.. لقد أبلي اليوم بلاءً حسناً عندما صَرَع النُّسور.. وأنا أتحدى، إذا نجح في كل تدريباته.. أنْ يقدر عليه الإنس أو الجن ولن تهزمه الجيوش ولن تقدر الطبيعة أن تنال منه شيئاً .

وفي اليوم التالي توالت التدريبات، كان مؤمن مرهقاً ورغم ذلك ، مجرد أن دخل الميدان وشاهد الأجْهزة لاحت لعينيه كلماتٌ ظن أنها مرسومة على سحابة بيضاء كانت تمرُّ من أمامه ! ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ ساعتها لم يَشْعر بالوَهن ولا اهْتم لأمر الجُروح وأقبل على تدريباتْ القوة بعزم المؤمن الصَّبُور ! !.

ها هو يمسك بَلْطة ثقيلة ثم يهوي بها على جذوع أشجار ضخمة. «لابد يا مؤمن أن تهوي هذه الأشجار إلى الأرض



قبل حلول الغروب؟. هكذا كان جُوهار يقول له.. كان يصرخ وهو يَطْعَن الجذوع ويزأر وهو يجذب البلطة من بين الشق العميق.. وفجأة أصَابَه إنْهاك شديد، وأخذت ضرباته تضعف وتنهار قوتُه شيئاً فشيئاً. كان رام ينظر قلقاً، أما جُوهار بعدما كان جالساً وقف واقترب من مؤمن وقال له:

- هيا أيُها البطل... هيا يا وحش الوحوش.. أقبل على قتال الأشرار.. لا تستسلم.. سيقتلونك إنْ لم تَسْتعد لهم!.

حاول مؤمن واجْتَهد، لكنَّه رمى البَلْطة ثم سقط على الأرْضِ يَلْهَث، يكاد أن يموت جهداً إلاَّ أنَّ رام حاول الزحف إليه، ولكنَّ جُوهار استوقفه قائلاً:

- لا ... لا يا رام.. هذه هي طاقته!.. لن يستطيع أن يقهر عدواً أبداً!

كان مؤمن يكاد يُغشى عليه ولسانه متدلياً يلحس تراب الغابة، وقال رام:

- ماذا تعني يا جوهار ؟

- أعني أن هذا الغلام لنْ يُصبح بطلاً أسطورياً كما أراد.. إنَّ الأبطال لا يسقطون في الميدان أبداً.. وها هو صديقك الصغير يلحس التراب تحت أقدام الأعداء.. لا.. لن أكلف نفسي هذا العناء مع طفلٍ ضعيف... سنوقف التدريب ولن نعود إليه مرة ثانية .

سمع مؤمن هذه الكلمات التي كادت أن تقضي على أحلامه ثم حاول النهوض فلم يقدر وسقط مرة ثانية .

فصاح به رام :

- مؤمن.. هل نسيت وَعْدك لي؟.. هل نسيت ابني مصطفى وزوجتي التي قُطِعَ رأسها ؟. مؤمن.. الأمل فيك.. كيف تتخلى عني وعن الإسلام.. الإسلام يامؤمن، لابد للهدف العظيم من تضحية عظيمة ! ثمَّ أخذ رام يتلو على مَسمعه آيات من كتاب الله..

كانت كلمات الله تهزُّ مؤمن هزاً وبعدما استدار جوهار

راغباً في الانصراف، عاد فوقف ينظر لمؤمن ورام يصرخ فيه:

- يا مؤمن .. الْعَق جراحك وقُم يا مؤمن .. أنسيت رسول الله « ﷺ » وهو يقول: [وإنَّ في الجنّة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كمَا بَيْن السَّماء والأرض] صدق رسول الله « ﷺ » .

كاد جُوهار أن يَقْفز من مكانه وهو يرى كلمات الله ورسوله قد فجَّرت القوَّة في الغلام فوثب كالمارد يصرخ وهو يقول :

- لم أنسَ يا رام .. لا .. لم أنسَ أن حبيبي رسول الله ﷺ قال : [والذي نفس محمد بيده . لوددت أن أغزو في سبيل الله ، فأُقتل ، ثم أغزو فأُقتل ، ثم أغزو فأُقتل] .

كان مؤمن وكأنه يحمل ساعداً به قوَّة كلّ المؤْمنين على الأرْض . فهاهو يحمل البَلْطَة في يده كأنه يمسك سَوطاً من الجلد ويضرب الأشجار فتقع ، وهو لا يقول غير عبارة واحدة يصرخ بها :

- « اللهم أنْتَ عَضُدي .. بك أجُول .. وبِكَ أصُول ، وبك أُقاتل .. ثم أُقْتَل .. ثم أغْزُو فأُقتل .. آه .. ثم أغزو فأُقتل .. وأغزو وأغزو وأُقتل ... وأُقتل ..

كاد رام أن يمشي على رجليه المشلُولتين من الفرحة وكان يهلل «الله أكْبر .. الله أكْبر .. الله أكْبر» أما جُوهار فكانت الابتسامة قد رُسِمَت على وجهه ، وأشار لمؤمن بأن يكف ، ولكنه أخذ يصعق المزيد من الأشجار فصرخ به جوهار أن يكف .

وفي المساء كان مؤمن نائماً و جُوهار يقول لرام :

- « عجباً لتلك الكلمات التي أعادت القُوَّة والرُّوح لهذا الغلام الذي كاد يموت جهداً ... لقد ظننت أنه - لو تركناه - لأباد أشجار الغابة عن آخرها » .

... صَباحٌ جديد ... على أعمال العِبَادِ شهيد ... منهم العاصي .. ومنهم المطيع .. ومنهم الغافل .. ومنهم الذَّاكر .. وأفضَلهم المُجاهد في سبيل الله بالمال والجهد والنفس .

مؤمن الذي أصبح التَّعب والإرْهاق لا يعرفان إليه سبيلاً ،
عليه اليوم أن يخوض تدريب المبارزة بالسَّيف .

دخل جُوهار إلى حجرة فسيحة من حُجرات المخزن ،
فوجد أن الحُجرة تحوي في وسطها حجرة صنعت من
القُمَاش الأبيض .. طلب منه جُوهار أن يَدْخُلها ومعه
السَّيْف .. كانت ضيِّقة إلى حدٍّ كبير وفجْأة أغلق جُوهار
النَّافذة فأظلم المَخْزَنُ تماماً ، ولم يعد يرى مُؤْمن أيَّ شئ ..
وهنا جلجل صوتُ جُوهار :

- انزع سيفك من غمده أيُّها الفارس .. أنت الآن لا ترى أي
شئ .. هكذا الفارس لابد أن يشعر قبل أن يرى .. يُحِس
بطعنة الخَصم قبل أن يتوقَّع من أين ستأتي الضربة
فيُحْبطها بمنتهى السُّرعة .. قبل أن ..

لم يكد ينهي جوهار كلامه ، ومؤمن لا يرى أي شئ ..
إذ بطعنة سيف تأتيه من يساره فتجرح ذراعه ، ولم يكد
يصرخ حتى أتته طعنة أخري من خلفه .. أدرك بسُرعة أنَّ

عليه ألاّ يفكّر في جُرحه بقدر ما يتسمع لصوت القماش وهو يُمَزَّق بالسيف ثم يواجهه من الاتجاه الذي أتى منه الصوْت، وساد صمتٌ غريب.. أخذ مؤمن يدور كالمجنون في مكانه والسيف بيده يتوقع الضربة .. فلم يشق القماش ولم تظهر طعنة أخرى .. ولكن أتى صَوت جُوهار :

- هيه.. المحاربُ الفَطِن لا يدور هكذا كالفأرِ المذْعُور خائفاً.. اثْبَت في مكانك.. اجْعل ذهنك فقط هو الذي يدور حولك.. اجْعَل أذُنَيْك فقط هي المُرْهَفة.. توقَّع يا صديقي.. توقع من أين ستأتي الضَرْبة.. وكُنْ مؤمناً بحواسك.. كن صديقاً طيباً لها.. كلما كان ظنك بنفسك طيباً وحسناً.. لن يخيب ظنك أبداً.

وهنا ثبت مؤمن مكانه، وقال بصوت عال يملأه الوقار وهو يكلِّم جُوهار :

- أنا ثقتي بالله أقوى من ثقتي بنفسي .. وظنّي بالله أقوى من أيِّ شيء !.. والله لن يخذلني أبداً !!

ولم يَكد مُؤمن يُنهي كلماته حتى استدار كالهِرَّة المَذْعورة ، وضرب سيف جُوهار الذي كان على وشك لمس جسده فأطاحه من يده.. وسمع صوت ارتطام السيف بالأرض.. وجُوهار يقول :

- أحسنت أيها الفارس.. لقد جعلتني أخشاك يا فارسي الصَغير .

وهكذا لم تصل لمؤمن طعنة أخرى ، لأنه أحسن الظن بالله ، فاطمأن قلبه لذكر الله ، واستطاع أن يُحْسن الأَخْذ بأسباب النجاح في مهمته التدريبية، مما أدهش جُوهار العجوز كثيراً

- اليوم يا صديقي انتهت تدريبات القِتَال .. ولم تبق سوى تدريبات الذِّهن.. نعم التركيز وقوة التأثير في الآخرين.. ستتعلم كيف تجعل خصمك ينفذ ما تريد أن تدْفَعه إليه ..

كانت هذه كلمات جُوهار وهو جالس بجانب مؤمن

يضمِّدَ له جُرحه .. أما رام فقد كان في صلاته وذكره لله ..
يدعو أن يجتاز مؤمن كل التدريبات والاخْتِبارات .. وإن كان
من داخله يشك في قُدرة غلام على أن يتصدى لشعبٍ
بأكمله .. إلا أن القدرة لله وحده .

- يومان .. يومان يا صديقي الصغير .. لن يدخل جَوفُك
فيها أيٌّ شئ .. لن تذوق للطعام طعماً !..

استعدَّ مُؤمن بعد هذا الأمْر وأصبح صائماً ، ذاك أن
جُوهار كان يُريدُ تدريبه على قوّةَ التحمُّل والقدرة على
التركيز وسرعة البديهة وهو صائم .. وتذكر مؤمن صيام
شهر رمضان المبارك وكيف علَّمه ذلك قوَّة التحمل
والمصابرة !!

ومضى اليومَان ، ولم يأكل مؤمن أي شئ ، وبعد الليلة
الثانية .. قاما مع طلوع الفجر وتوجها إلى قمة الجبل حيث
البرودة القارصة والضَّباب وجلس جوهار مواجهاً صديقنا
البطل وابتسم وقال له :

- أعجَبْتَني أيها الوحش.. في الحقيقة لم أجد في حياتي جندياً لديه قوة تحملك.. وكل هذا من أجل شخص تعرفت عليه بالمصادفة .

ابتسم مؤمن رغم الجوع والإرهاق ثم قال :

- إنَّ الأساس في ديننا أن يكون المسلم قويَّ الجسد والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً .. ثم إن العمل الذي أؤديه الآن ليس من أجل رام ياصديقي .. لا تتعجب إنه أولاً من أجل الله .. أنا لا أريد من رام شكراً على ما أقوم به معه وإنما أريد الجزاء من الله ..

- إذَنْ .. عليك الآن فقط أن تُنقِّي ذهنك من أي شئ .. لا تفكر في أي موضوع .. فقط عليك أن تكرر عبارة واحدة أكبر عدد من المرات .. عليك أن تقول « الشمس مانحةُ الحياة والموت » .

نظر إليه مؤمن غاضباً وقال :

- أيُّها الحكيم جُوهار .. مَعْذِرَة .. أنَا لَنْ أقول تلك العبارة

مهما كان الثمن .. إنَّ اللّه هو الذي يُحيي ويُميت .. أتَعجَّب كيف أن رام قال لي من قبل أنك تَعْبد اللّه ﷺ خلال دينٍ آخر ؟!

غضب جُوهار بشدة وقال :

- فليهذي رام وليقُل ما يشاء .. أنا لا أعْرِف إلهاً غير الشمس التي تمنح كل شئ وتمنع كل ما تريد أن تمنعه.. وإذا لم تقل العبارة التي قلتها لك فلن أُعْطِيك إجازة النجاح في التدريب .

كظم مؤمن غيظه وصبر على مدرّبه العجوز وقال له :

- لماذا لا نتفاهم يا سيدي ؟.. أليس المُحارب القوي أيضاً لابد أن يكون سياسيًّا بارعاً ؟.. أنا عندي الحل لهذه الأزمة بيننا .. العبرة بالنّتِيجة .. وأعتَذِر أنني لأوَّل مرة في هذا التدريب سأشرح لك ما ينبغي عمَله بالنسبة لي أنا على الأقل ..

عقد جُوهار حاجبيه كأنه لا يَفْهَم كلام مُؤمن .. ولكنَّ مُؤمن لاحقه فقال :

- النتيجة يا سيدي.. هي أن أستطيع في نهاية التدريب أن أؤثر في الآخرين.. أليس كذلك؟.. إذن.. أنا سأكرر عبارة أخرى وسأرددها أمامك عشرات المرات ولننظر بعد ذلك هل سأنجح معك أم سأفْشَل .

بَدَا أن مؤمن قد تحدى جُوهار الحَكِيم العجوز .. ولم يكُن لديه إلا أن يَقْبل التَّحدي .. فقال :

- ماذا ستُردد يا مؤمن ؟ .. ما هي كلمتك ذات القوة ؟

- إنها يا سيدي كلمات الله وليسَتْ كلماتي أنا .. ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ .

أخذ مؤمن يردد الآية الكريمة من سورة إبراهيم وهو مغمَض العَيْنين ومضى وقت طويل وهو يرددها وإذا بجُوهار يصيح به :

- كفى .. كفى .. أنت .. من هم الظالمون الذين سيضلهم الله ربك ؟ .. مَنْ تقصد بهم ؟

ابتسم مُؤمن وقال :

- ولكن نحن لم ننته بَعْد من تدريبنا يا سيدي.. وعلى كلٍّ.. أظن أننا قد اقتربنا.. سيدي هذه الشمس التي تعبدها أنت ومن هُمْ على شاكلتك .. من الذي خلقها؟

قال جوهار :

- هي التي تخلق كل شئ .. إنها أقوي شئ .. ولا شئ يستطيع أن يتحكم فيها ..

فقال مؤمن :

- إذن لماذا تغيب الشمْسُ مادامت هي ربّ كل الكون؟ هل يغيب الإله عن العبيد ؟

تلَعْثم لسانُ جُوهار واضطَرب ثم أردف يقول :

- لها في نفسها شَأْن.. وليس من حقنا أن نفكّر في شئونها.

- لا يا سيدي .. هل تقدر الشمس أن تطلع من الغَرْب .. لماذا هي مُجْبرة دائماً على شُروقٍ وغروب ؟

- هذا أيضاً لا إجابة عِندي له .

- سيدي إن الله حي قيوم لا يغيب عن عباده .. يراهم ولا يرونه .. يعلم ما تُكِنّه صُدورهم ولا يعلمون ما في نفسه .. قوي .. لا يقدر عليه شئ .. قل لي هل يمكن أن يكون بين الرب والعباد حِجَاب ؟

سكت جوهار ولم يرد فقال مؤمن :

- قل لي لو أن الشمس إله هذا الكون .. لماذا لا تقدر على السَّحابة التي تحجبها عن الدُّنْيا في الشتاء ؟

حاول جوهار أن ينطق ولكنه لم يقدر فأكمل مؤمن :

يقول تعالى : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۞ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۞ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۞ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ ... ويقول أيضاً ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ويقول ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقال ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ وقال أيضاً

﴿ ولئن سألتهم مَنْ خلق السموات والأرض وسخَّر الشمس والقمر ليقولنَّ الله ﴾ وقال عز من قائل وهو أصدق القائلين ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ﴾ .

طأطأ جُوهار رأسه إلى الأرض وشرد شروداً طويلاً ثم قال لمُؤمن :

- وأين الله ؟ .. لماذا لا نراه إذن ؟

- الله موجود يا سيدي .. كما قلتُ لك نراه بقلوبنا .. نراه بآياته في الكوْن .. نراه في كل شئ ولكن لا تدركه أبصارنا وهو يدرك كلَّ شئ .

صمت جُوهار ثم قال :

- عموماً يا ولدي .. لقد نجحت في هذا التدريب لأنَّك استطعت أن تؤثر في أفعالي وتتحكم في عقلي ولو لبعض الوقت .. ولكن أنا لا أرجع عن عبادتي أبداً .. هيا فلنعد إلى رام لنبشِّره باجتيازك للامْتحانات، وأنَّك جاهز للانْتقام من الأعْداء وإعادة ولده مصطفى .

وكانت مفاجأة كُبرى غريبة .. رام ليس في الحُجرة ..

أين اختفى؟ .. إنَّه مشلول .. وقف مُؤمن وجوهار ثم اندفعا يبحثان عنه في كل مكان ... وفجأة صرخ مؤمن :

- سيدي الحكيم جُوهار .. انظر إنَّها حبات السبْحة التي كانت بحَوْزته .. إنها مبعثرة على سلالم المَعبد .

- لا ... لابد أن اللُعبة بدأت قبل الأوان يا صديقي الحكيم الصغير .. اسمع ..

أمْسَك جُوهار بذراع مؤمن وهمس له قائلاً :

- اسمع يا ولدي.. أنت لم ترني من قَبْل.. ولم أعرفك ولم تعرفُني.. وإذا سألك أحدٌ عني فقل لا أعرفه.. والآن اغرب عن وجهي ولا أرينك بعد الآن ..

وقبل أن تعقد الدهشة لسان مؤمن .. كان جوهار قد ذاب كالملح في الماء .. وبحاسة الفارس المحنَّك أدرك أن هناك أنفاساً تَقْتَرب من المكان .. فلم يملك إلا الجري مندفعاً ليقفز من فوق سور المعبد ويخترق الأحراش .. وكأن جيشاً مدججاً يَجْري وراءه ..

- أيُّها الرجل الضعيف .. أما كفاك عنَاداً .. ماذا تريد من

المصائب بعد الآن حتى تعلم أننا على الحق وأنك على الضلال؟... زوجتك وضاعت، وولدك أصبح مِلْكاً لنا.. ثم أصابك الشلل وستموت مَيْتَة الكلاب! يا رام إذا لم ترجع لرشُدْك وتترك هذا الجهل وتعود لملتنا ..

- والله لو قطَعتموني إرباً إرباً على أن أترك الإسلام ما فعلت ولو مزقتموني بِعْذَابِكُم ألف مرة !!..

- مَجْنون .. لقد أشعل الصبي الغريب أفكارك المُعادية لنا.. انتظر بعد قليل سيأتي جيش النَّار به وسأجعله يسجد للبقرة أمامَك..

دار هذا الحوار بين رام ومختطفيه من شَعْب البقرة ... ولم يكد يُتِمُ حتى دخل قائد جيش النار :

- سيدي الرئيس .. سيدي .. إن هذا الغلام أسرع من غزالة تفِرُّ من أسَدٍ .. لقد سقط جنودنا من الإعْياء وهم وراءه ولم يبق لدينا جندي واحد يستطيع اللحاق به .. إنَّه ..

- إنَّه ماذا أيُّها العَجَزَة ؟.. أطفلٌ يرضع أصابعه يفعل بكم ذلك ؟!.. فليخرج جيش البَقَرة المقدسة .. أظن أنهم مدربون بما فيه أن يطاردوا العالم بأسْره .. فلتأتوني بالغلام الغريب .. وليذهب آخرون ليحضروا لي جُوهار الخائن .. لابد أنه قد قام بتدريب الغُلام .. كيف فَعلها؟!!. لقد عاهدني ألاَّ يفْعَلها فمنحته الحياة.. أما الآن فَلْتأتوني به.. سأشويه على نارٍ هادئة.. أسرعوا أيها الجرذان المزعجة .

نظر الرئيس الذي كان يشبه البقرة في حجمه ويرتدي تاجاً به قرنين من قرون البَقَرِ إلى رامٍ وقال :

- أمَّا أنْت يا رام فأنا لن أقطَعَك إرباً إرباً.. ولكن سأشفيك من حزنك هذا .. ماذا قلت؟

نظر إليه رام متسائلاً عما يعنيه القائد الذي قال ملاحقاً :

- عزيزي رام .. أنت تدَّعي أشياء لا تمت إلى الحقيقة بِصِلة وأنا لن أعذِّبك لأحوِّل عقيدة تعتقد بها .. وإنما سأفعل كل ما بوِسْعي لأثبت لك بالحُجة والبُرهان أننا الأحقُّ ..

اسمع .. ماذا لو أنَّ البقرة المقدَّسة حوَّلت لك الماء الذي في هذا الكَأس إلى دم ؟ .. هل تؤمن بها ؟

- سحر .. سحر يا رئيس البقر ..

- إذن .. ماذا لو أن البقرة المقدسة أعطتك دواءً ليَشْفِيك من الشلل ؟

- الله الذي خلق الداء وخلق الدواء .. ولن يأتي الشفاء إلا من الله ! !

- ماذا إِذَنْ .. إذا منحتك البقرة المقدسة تلاً من ذهب وتلاً من فضة ؟

- متاعُ الدنيا قليل .. وما عند الله خير وأبقى .

- لن أعجز معك يارام .. سأثبت لك أن البقرة المقدسة هي إله هذا الكون .. ماذا لو سألتها لك أن تعيد الحياة في الموتى ؟

نظر رام مستهزءاً وقال :

- الله هو الذي يُحْيِي ويُمِيتُ ..

- والبقرة المقدسة أيضاً تُحيي وتُميت .. أتحب أن ترى ذلك بعينيك ؟..

- هراء وتخريف .. وشركٌ وكُفر بالله .. أعوذ بالله منك .. اقتلني يا رجل ولا أسمع كلامك الأبْلَه هذا ..

قام الرئيس منتَفِضاً من مكانه في غضبٍ شديد، ولكنه تماسك وقال له :

- أريد أن أسمع منك كلمة واحدة يا رام .. لو أثبت لك أن البقرة المقدسة تُحيي وتُميت.. هل ترجع عن دينك وتعود لديننا ؟

صمت رام برهة ثم نظر في عيني الرئيس وقال :

- من السحر يا رئيس البَقَر أيضاً أن توحي لي أن حيواناً قد مات وهو لم يمت ثم تسخر مني وأنا أراه يعود للحياة مرة أخرى .

اقترب الرئيس منه وقال بخُبثٍ شديد :

- اسمع يا رجل .. ألم تدفن زوجتك بنفسك ؟. وهي الآن مجرَّد رميم .. وعظام نخرة ؟..

فغَر رام فمه .. وكادت الدنيا أن تُظْلِم في عينيه ولكن ألوان الأغطية والملابس والأواني والفاكهة اختلطت في عينيه، وأحسَّ أنه يسمع أجراساً، ونباح كلاب وصفير صراصير، وعواء ذئاب مختلطاً بدقات طبل وصوت أوانٍ تتحطم، ودارت رأسه، وكاد أن تصعقه المفاجأة .. ولم ينتبه إلاَّ على ضحكات رئيس البقر :

- ها ها .. ماذا قُلت يا رام؟ .. ستُعيد البقرة المقدَّسة الحياة لزوْجتك .. ستمنح البقرة المقدسة الحياة للعظام النَّخرة .. إنَّها تملك الأرواح يا صديقي .. ولن تبخل عليك بروح زوجتك التي ماتت ودُفِنَت في التراب .

حاول رام أن ينطق وكاد أن يشب على رجليه ولكن رئيس البقر لاحقه :

- وعداً .. أريد وعداً منك الآن .. إذا ذهبنا الآن إلى قبر زوجتك بصحبة البقرة المقدسة وسألناها أن تعيد الحياة إليها مرة أخرى وفَعَلَت .. هل تُؤْمِن بها ؟

وفي هذه الأثناء، كان مؤمن يفر وحيداً ووراءه جيش عرمرم، وفي جهة مقابلة كان قائد الجيش يسب ويلعن جنوده ، إنهم فقدوا أثر الغلام السريع .

- سيدي القائد... النسور المدربة يا سيدي.. هل نسيتها.. فلنُطْلقها في أثره ..

- مرحى يا مساعدي المُخْلص.. أين كانت هذه الفكرة غائبة عني.... لدينا أربعة نسور لها القدرة على حمل البقرة المقدَّسة ذاتها، والتحليق بها نحو الشمس.. أيها الجنود أحضروا النسور حالاً ..

كان مؤمن يلهث وهو يكاد يسابق الريح محاولاً الابْتعاد قدر الإمكان.. وأخذ يشق بذراعيه أعواد الذُّرة وهو يخترق حقولها.. وفجأة سمع صوت رفرفة أجنحة النُّسور.. إنه يتذكرها جيداً.. ولما رفع رأسه عالياً.. نظر إلى حلقة تطوف فوقه ناشبة مخالبها استعداداً للانْقضاض .

كان يَلْهَث ولكنَّه توقَّف عن الجري .. وكادت قطرات

العرَق تغشّي عليه نظره .. ولكنَّه قال في نفسه « هداك الله يا جوهار .. كيف عرفت أنني سأواجه هذه النسور قبل ذلك؟» .

أخذت النسور تقترب وتصيح بصوت مُفْزِع، وأصْبَحت المخالب تكاد تلمس جسده .. أما هو فثبت في مكانه كالصَّنَم حتى ظنَّت النسور السلامة.. وفجأة.. بضربة يد واحدة أطاح بواحد منها فكسر عنقه مما أثار الباقي.. فشدَّدوا الهجوم وهو يضرب ويضرب، والريش يتطاير وملابسه تتمزق، ويناور وحده ثلاثة من الوحوش الطائرة.. نزع سيفه بسرعة .. وبضربة أسقط إثنين آخرين فهرب الرابع فزعاً .. وكان المشهد للجنود كفيلاً بأن يحددوا موقع مؤمن بالضبط .. فما كاد يفرغ من النسور حتى وجد الجيش يقترب منه بسرعة هائلة .. يخترقون الحقول كالجراد.. كل هؤلاء يريدون غلاماً مسلماً.. والله الناصر.

وفي ذلك الوقت كان هناك في حقول القمح.. ثوراً

يقف في هدوء يلتهم بعض أعواد القمح الجاف.. كان هو هدف مؤمن الوحيد.. ومنقذه من الجيش.. أخذ يجري وكلما نظر وراءه.. رءاهم يقتربون وهم يخوضون في السراب.. واقترب مؤمن من الثَّور.. كان الفلاَّح قد ربطه بجذع شجرة ونظر مُؤمن فوجد إناءاً به الكثير من النَفْط.. لا يدري مُؤمن كيف واتته الفكرة الجُهنَّميَّة .. حمل الإناء بيد، ثم أمسك الحبل الذي يربط الثُّور وحلَّ الوثاق، ثم أمسك بذيل الثور باليد الأخرى، وصاح صيحة أفزعته، فانطلق الثور هائجاً يجري بأقصى سـ ـعة ..

مَشْهَدٌ عجيب .. غلام ينزلق نوق أعواد القمح الجافة ممسكاً بذيل ثَور ينطَلِق كالمجنون، ولما فرغ إناء النَفْط بعد أن سكبه على دائرة شاسعة.. ألقاه ثم إذا وصل إلى مكان بعيد ترك الثور، فسقط مكانه، ينتظر قدوم جيش البقر .

دخل الجيش في الدائرة التي صنعها مؤمن، وفي تلك اللحظة أشعل مؤمن النار فى العُشْب الجاف فالتقط العشب

من بعضه النار بسرعة هائلة، واشتعل في الحال كل مكان سكب فيه النفط.. فوجد الجنود أنفسهم محاصرين في دائرة رهيبة من النار التي كانت تقترب منهم رويداً رويداً.. فأخذوا يصرخون .

- سمع مؤمن تكبيرات تعلو وتعلو «الله أكْبر .. الله أكْبر.... الله أكْبر....» فنظر حوله.. لم تكن هناك غير هذه القرية الصغيرة بجانب الحقل.. لقد خرج أهلها كلهم على مشهد النيران وهي تُحيط بالجيش.. تعجَّب مؤمن.. لماذا يكبرون ويذكرون الله؟... هذا شئ غريب.. من المفترض أن أهل هذه القرية أيضاً يعبدون البقر.. ولكنهم يعبدون الله .

« الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. » لم يكن هناك إلا أن يهرع نحوهم.. وإذ بهم كلهم لما رأوه تأخذهم فَرْحة غامرة.. وحملوه من الأرض فوق أعناقهم.. فسأل شيخهم :

- هل أنتم .. هل تعبدون البقرة أنتم أيضاً ؟ .. أم تعبدون الله ؟

صاح شيخ القرية :

- لا إله إلا اللهْ مُحَمَّد رسول اللهْ .. نحن نكبْر يا ولدي على النَّار حتى تَنْطفئ ..

- إسلامنا بخير .. الحمد لله .. ولكن أنا لم أكن أعرف أن هناك مسلم غير رام في هذه البلاد .

- أخفينا إسلامَنا يا ولدي خشية بطش الجبَّار صاحب البقرة .. ولكن كانت فرصتنا عظيمة عندما أتتنا أخبار أن المدرب جُوهار يعد غلاماً ليكون سيف اللهْ على رقاب الجبابرة في بلادنا .. وها هو أقوى جيش لديه .. ستحرقهم النار .

- سيدي الشيخ .. أنا لا أريد أن أكون سبباً في حرق كل هؤلاء الناس .. لابد أن نتَّخذهم أسرى .. لحين مواجهة رئيسهم .

وبعد مداولات سريعة والجيش تحاصره النيران التي كان يزداد حجمها كل وقت لها صوت مخيف يصحبها صهد



يشوي الوجوه ودخّان سوّد صفحة السّحاب، أخذ أهل الْقَرْيَة يُطْفِئون النيران في بقعةٍ مُعَيَّنة فأصبح هناك مَخْرَج ضَيِّق لِجَيْشِ البَقَرة، انْدَفعوا نَحْوه تكاد تخنقهم النار.. فكان أهل القرية يستقبلون الواحد تلو الآخر.. يقبضون عليه وينزعون منه سلاحه.. وهكذا كانت يَدُ الله مع الجماعة .. ولكنُ القَائِد لم يَظْهَر وسَمِعُوا صَوْته من داخل حلقة النيران يصيح منادياً مؤمن :

- أنت أيها الغلام.. أتظن في نفسك الشجاعة.. لو كنت شجاعاً حقاً فكن مثلي .. أنا لا أهابُ النَّار.. هيا تعالى.. إني لن أخرج من هنا إما حيّاً أو ميّتاً.. فهل تقبل التحدّي أيها الطفل المذْعُور ؟

نظروا جميعاً إليه وهو يستلُّ سيفه وقال له الشيخ هامساً :

- ولدي كُنْ على حَذَر.. أنا أشكُّ أنَّه ليس وحده يا ولدي..

صرخ مؤمن صرخة عالية واندفع يخترق الحلقة النارية

ليجد قائدهم ممسكاً سيفه ووجهه أحمر كالدم من حرارة النِّيران .

- أقبل .. تعال .. إما تَقْتُلني أو أقْتُلك ..

المكان حقل .. وأعواد القمح مازالت قائمة .. القائد يقف بينها ، ومؤمن يتقدم إليه ورغم كل الأصوات التي يسببها لهيبُ النِّيران إلا أنَّ مُؤمن قبل أن يَقْتَرب من القائد ، فجأة قفز مستديراً للخلف وطعن ، ثم لليمين وطعن ثم للخلف فطعن .

كان هناك ثلاثة من الجُند يَختبئون في القَمْح .. لم يكن يَرَاهُم .. ولكنَّ تَدْريب جُوهار علَّمه أن تَسْمع أُذُنه .. ويُحس قلبه .. وتتحرك جوارحه قبل حدوث الخطر .

سقط الثلاثةُ صرعى .. أمَّا القائد لما رأى من مُؤمن ذلك أخذ يجري مخترقاً النار ومؤمن يجري وراءه .. يصرخ فيه :

- عُد .. عد أيها القائد .. ارجع .. ولك الأمان ارجع .. لا تخف .. ستحترق يا مجنون .

اختفى القائد وسط النيران ولكن مؤمن لم يتركه وجرى وراءه .. لم يخْتَلف الأمر بالنسبة لمؤمن كثيراً عن حقل تدريب النار الذي اجتازه بشجاعة مُنْقطعة النظير .. ورأى القائد والدُّخان قد نال منه وسقط بين النيران التي كادت أن تلتهمه .. جرى مؤمن واحْتَضَنه من تحت ذراعيه وأخذ يجره وسط الدائرة .. وقبل أن يسقط معه كان أهل القرية يهرعون إليهما .

مرَّ وقت عصيب .. نجح فيه المُسلمون في إطفاء النَّار وقال مؤمن للشيخ أمام الجَمْع الكبير من الأسرى :

- بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

ابتسم الشيخ وقال :

حقاً يا بُنيَّ .. نحمد الله تعالى أن أخرجنا من ظلمات الضلالة والكفر إلى نُور الإيمان .

- كيف حال قائد الجيش يا سيدي ؟

- إنه يتماثل للشفاء يا ولدي .. إنه يريد أن يتكلَّم معك .. هيا نذهب إليه في بيت طبيب القرية .

وهناك وقف مؤمن مبتسماً أمام فراش القائد الذي كان في حالة شديدة الإعياء .

- سيدي الغلام المُسلم .. لقد صنعت معي معروفاً غريباً عجيباً .. أنا دعوتك لفخٍّ نصبته كي أقْتُلك .. فلما تمكَّنْت مني لم تَقْتُلني ولم تترك النَّار تأكلني.. من أنت؟... وأي أخلاق تلك التي يحملها قلبك ؟!

قال مؤمن :

- أخلاق رسول الله «ﷺ».. نحن المسلمين لسنا دعاة حرب.. ولا نحب إراقة الدماء.. نسالم من سالمنا.. ونعادي من عادانا .. ولا نقتل شيخاً أو طفلاً أو امرأة ولا أسيراً .. ولا أعزلاً .. الرحمة عندنا دستور .. والعفو عند المقدرة هو منهجنا في الأمور.. نحن ندعو إلى الله..

والله أمرنا بأن يكون خلقنا القرآن الذي أنزله على رسوله محمد بن عبدالله « ﷺ » .

- أسمعني شيئاً من هذا القرآن بالله عليك !!

- يقول المولى عز وجل في محكم آياته : ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ .

كان النور يغزو بشرة القائد وأمسك بيد مُؤمن وقال :

- شئ عجيب كأنني سمعت هذه الكلمات من قبل.. كأن حبي لم يكن حديثاً.. إن شيئاً ما في طفولتي أستدعيه الآن.. يربطني بحلاوة هذه الكلمات.. إن قلبي يرتجُّ يا

صـديقـي إنه يريد أن يقـول «لا إلـه إلا الله مـحـمـد رسـول الله». صاح مؤمن فرحاً :

- الحـمـد لله.. اعْلـم أن مـا تـشـعـر به لـيـس وهمـاً وإنما كل مـولود يولد.. يـولد على الفطرة.. والفطـرة ياسـيـدي هي الإسـلام .

قـام القـائد كـأنه لم يصـب بسـوء قط ووقـف على رجليـه وقال :

- دعـوني وجـيـشي.. إنهـم جنودي، ولـو أمـرتهم بـالموت سيموتون من أجلي سأدعوهم إلى الإسْلام، وأنا على يقين من أن كلمة «لا إله إلا الله محمـد رسول الله» ستشق عنان السماء بعد قليل.. أما أنت يا مؤمن.. فهناك أخبار هامة بالنسبة لصديقنا رام .. يجب أن أُخْبِرُك بها حالاً .

وفي مُعَسْكَر رئيس قبائل عَبَدة البـقر.. كـان رام يسـتعد لمصـاحـبـة القـائد وبعض الجنود إلى قـبـر زوجـتـه كـي يراها والبقرة المقدسة تعيد إليها الحياة بعد الموت .

وعندما وصلوا إلى المقابر وجدوا بعض الجنود معهم البقرة.. وعلى قبر زوجة رام سُرادق مُقام من القُماش ووقف القائد وقال للكاهن :

- الآن أيها الكاهن بأمْر البقرة المقدَّسة .. التي سمحت لك بأن تتلو التعاويز السرية التي تعيد الروح للأموات.. عليك الآن بإعادة الروح إلى زوجة رام.. بل أيضاً اجْعلها تخرج لنا من القبر في أبهى زينة.. بل أيضاً من أجل أن رام سيرجع عما في رأسه.. بأمر البقرة المقدسة.. اجعلها تخرج لنا من القبر وبين يديها ولدها مصطفي.. هيا أيها الكاهن.. هيا .

أخذ الكاهن يتلو كلاماً غير مفهوم .. ثم يتشنج ثم يبكي ثم يضحك ثم يجثو على ركبتيه أمام البقرة ثم سجد تحت قدميها وساد صمت رهيب ووقف الجميع كأن على رءوسهم الطير .. وفجأة .. قام الكاهن كالذي مسَّه الشيطان بجنونٍ وأخذ يدور حَوْل القبر ثم قال :

- والآن أيتها الروح المسكينة .. أنْعَمت عليكِ البقرة مرة أخرى بالحياة وعليك أن تُنْفِّذي الأمْر حالاً .

وقف رام على رجليه ونسى أنَّه مشلولٌ، وأخذ يَلْتَهم غطاء القماش فوق القبر بِعَيْنيه .. إنه يُرفع ويدٌ تمتد منه تَرْفع طرفه .. وصرخ رام كالمجنون :

- زوجتي .. حبيبتي .. زوجتي .

خرجت زوجة رام من السُرادق ومعها مُصْطفى الصغير وهي تضحك وفي أحسن حال .. لم يصدِّق رام نفسه وكاد أن يُغشى عليه .. والقائد يضحك والكاهن يسجد شاكراً للبقرة .

ارتمى رام في أحْضَان أُسْرته، وظلوا يبكون ثلاثتهم .. وهنا ظهر جُوهار العجوز يجري من بعيد ويصرخ .

- رام .. رام ... لا .. لا يا رام .. إياك يا رام .

وقبل أن يقترب كان القائد يشير إلى جندي يحمل قوساً فصوَّب سهماً لجُوهار نَفَذ في صدره .

وعندما أراد رام أن يعترض .. ابتسم القائد وهو يشير إليه بكفِّه قائلاً .

- أخذ جزاءه .. لقد قلت لك أنني أريد قتله .. إنه ليس على ديننا ولم يكن أيضاً على دينك السابق .

نظر رام لزوجته وأخذ ينظر إلى وجهها كأنه لا يصدق نفسه .. وأخذ يبكي من الفرحة ويقول :

- حمدًا .. حمداً .. حمداً ..

فصاح به القائد :

- قل حمداً للبَقَرة المقدسة .. هي التي أعادت لها الحياة وهي التي يمكن أن تسلبها منها الآن .

فصرخ رام قائلاً :

- لا .. لا تسلبوا حياتها ثانية لا ..

- إذن قل حمداً للبقرة المقدسة قبل أن تَغْضَب عليك .

صمت رام برهة ونظر للبقرة والقائد والكاهن ، واقترب من البقرة وعندما هم أن ينطق سمع صوت مُؤمن يصيح من

أعلى التل المجاور للمقابر .

- لا .. لا يا رام .. إياك أن تشرك بالله، إياك أن تتخذ من دونه إلهاً آخر.. إنها خُدعة .

نظر رام لمؤمن وفرح لرؤيته وصاح القائد غاضباً :

- اقبضوا عليه ..

ولما تحرك الجند نحو التل اذ بهم يرون جيشاً يرتفع من خلف مؤمن ليسد عين الشمس بحجمه وقائدهم المسلم يرفع رايه الإسلام الخضراء فوقف الجميع في صمت .. وفي لحظة انْهَمر جيش المسلمين من فوق التل كالسيل الذي لا يترك شيء إلا اكتسحه، فأخذ معه جنود البقرة وحرس الكاهن وداسهم بالأرض، ووقع الرئيس والكاهن صرعى من الجنود بعد نزال لم يستغرق دقائق .

ورغم ذلك فإن رام كان مُنْدهشاً لكل ما جَرى .. فإن الأَحْدَاث مرَّت بأعاجيب متلاحقة وقال يسأل مُؤمن :

- أنا لا أفهم أي شئ .. إن زوجتى عادت للحياة .. إنها

ليست خدعة .. هل تريد أن تقول لي أن هذه المرأة ليست زوجتي ؟.. لا .. ليست خدعة .. أنا أعرف زوجتي ولو كانت وسط ألف شبيهة لها ..

ضحك مؤمن وقال له :

- أنا لن أجيب على كلامك ولنَدع زوجتك تحكي لنا كيف أعادتها البقرة المقدسة إلى الحياة .

قال مؤمن ذلك وهو يُغَالب الضحك وضحكت زوجة رام وهي تحتضن ولدها مصطفى وقالت :

- في الليلة التي افترقنا فيها يا رام .. أتى الجنود وقيدوني أنا ومصطفى وحُمِلنا إلى رئيسهم المجنون صاحب البقرة.. وهددني بالقتل إذا أطْلَعت زوجي على الأسرار الكُبْرى للبقرة المقدسة.. وكانت الأسرار غاية في الغَرابة .. عرفت أنهم أحضروا جُثَّة سيدة ماتت بالقريب وقطعوا رأسها وخلعوا عني ملابسي وألبسوها للجثة ثم وضعوا الجثة في بيتنا .. وذلك لكي يوهموك

يا رام بأن الجثة جثتي فتظن أنني قد مت .. وبعد ذلك يقبضون عليك ثم يحضرونني إلى القبر ويطلبون من البقرة أن تعيدني للحياة فأخرج إليك .. فتعرف أنت أن الإله الحقيقي هو البقرة فتؤمن بها .. وبهذا سيكفر بالله كل واحد كان يجعلك مثلاً أعلى له .. ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون .. والحمد لله ظهر الحق فوق الباطل .

أخذ رام يضحك ويضحك حتى أن الجميع أخذوا يضحكون على الخدعة البلهاء التي حبكها قائد البقرة وسط الضحك سكت مؤمن وأشار للجميع بالصمت وجرى نحو جثة جوهار المدرب العجوز الذي كان يعاني من سكرات الموت ثم احتضنه :

- سيدي المدرب ... لا حول ولا قوة إلا بالله .. اشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمد رسول الله .

ابتسم جوهار رغم الألم وقال له :

- ولدي مؤمن .. اعلم أنَّ الشمس .. الشمس مخلوق ضعيف من مخلوقات الله الواحد القهار مكور الليل على النهار.. كلامك يا ولدي.. كلامك كان أنفذ إلى قلبي من هذا السهم الذي خرق صدري.. لقد نجحت يا مؤمن.. نجحت في اختبار الذهن.. نجحت في أن تجعلني أفكر وأفكر.. أعتذر لك أن هربت منك.. أنا يا ولدي شيخ ضعيف ولكني الآن ومنذ عدة أيام .. أفكر حتى استطعت أن أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. هناك يا ولدي جوهرة هي ميراثي لك ستجدها تحت وسادتي ..

لا إله إلا الله محمد رسول الله قالها جوهار فخرجت ترافق آخر أنفاس صدره التي عُدَّت له في الحياة وهنا كبَّر الجنود « الله أكْبر .. الله أكْبر » .

تمت مراسم دفن الجثث واقيمت جنازة لجوهار .. وزار مؤمن بعد ذلك معبد الشمس وطلب من الجنود أن يرفعوا



اللافته ويكتبوا عليها «مسجد الحكيم جوهار وبه مركز تدريب الجند » وعثر تحت وسادة جُوهار على الجَوْهَرة، وعاد إلى رام في القرية ، ورآه يعتلي المِنْبَر ويخطب خطبة الجمعة وكان يتكلم عن الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وبعد أن أدَّى الجميع صلاة الجمعة صعد مؤمن إلى المنبر ليودع الناس والبلاد لأنه سيعود إلى بلده الحبيب مصر فقال :

- (أوصيكم بحسن الظن بالله . . . إنه يحب العبد الذي يتوقع منه الخير ويحسن التوكل عليه وعليكم دائماً أن تكونوا يداً واحدة وصفاً واحداً . . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ الَّذِين يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ .

وفي نهاية اليوم أُقيم لمؤمن احتفال الوداع وتجمع أهل البلاد في مشهد كبير حول مؤمن وأصحابه .. كان الجميع فرحين ، لأن الوليمة التي أقيمت لمؤمن من أطيب لحم حلله الله للناس .. ألا وهو لحم البقرة .

تمت بحمد الله